المحاضرة الحادية عشر بعنوان

الفلسفة الاجتماعية عند أميل دوركايم

عناصر المحاضرة

أولاً:

- أهمية ومكانة ايميل دوركايم
- مؤلفات دوركايم
- الظاهرة الاجتماعية
- صفات الظاهرة الاجتماعية

ثانياً: تبويب الدراسات الاجتماعية وتحديد فروعها

أهمية ومكانة ايميل دوركايم

دوركايم (1858 – 1917)

زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ومنشئ علم الاجتماع الحديث وأحد دعائم الحركة العلمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

سيرته الأكاديمية

- اهتم بالدراسات الاجتماعية، ولا سيما بعد بعثته إلى ألمانيا.
- وقد تتلمذ على أقطاب مفكريها أمثال: " فاجنر، شولر، وفونت"؛ فدرس الاقتصاد والفلكلور والأنثروبولوجيا الثقافية وبعض الموضوعات الاجتماعية.
- وأدت كتاباته في الفلسفة الاجتماعية إلى ذيوع شهرته.
- وعليه فقد كلف بتدريس علمي الاجتماع والتربية بجامعة بوردو.
- يعود إليه الفضل في إنشاء كرسي علم الاجتماع بجامعة بوردو
- حيث شغل منصب أستاذ علم الاجتماع بجدارة في جامعة بوردو.
- كما شغل نفس الكرسي في جامعة السوربون منذ سنة 1906 إلى وقت وفاته سنة 1917 .

سمات تفكيره

•كان دوركهايم يكره التأملات الفلسفية العقيمة ، وكان يهتم بالعلم لأجل العلم فقط ولذلك ابتغى أن يجعل من علم الاجتماع علمًا يسلّط الضوء على آفات المجتمع ويستعان به لحلّ بعض مشكلاته عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد المجتمع .فلذلك أولى عناية كبرى للمشاكل التربوية.

•برأي دوركايم :أن التربية تلعب دورًا أساسياً في اندماج الفرد في المجتمع.

hadeel alnafea

•قد تفسر لنا هذه التصورات اهتمام دوركايم بمشاكل زمنه إذ أن اثنين من أهم كتبه تتناول الاضطرابات الاجتماعية المتولدة عن التصنيع المفاجئ والكثيف الذي انتاب مجتمعات عصره .وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا.

•حين عُيّن دوركايم أستاذا بجامعة بوردو عام 1887 م قام بإلقاء محاضرات قيمة في التربية الأخلاقية، فظهر في ذلك الوقت اهتمامه بدراسة المجتمع، حيث قدم فصلا دراسيا في علم الاجتماع يعتبر الأول من نوعه في فرنسا، فاثأر جدلا كبير بين العلماء المهتمين بدراسة المجتمع .ووضح في دراسته تأثره بآراء أوجست كونت، وتطويره للمذهب الوضعي والنظرة العضوية إلى المجتمع التي ابتدأها أوجست كونت.

مؤلفات دوركايم

•ترك دوركهايم مؤلفات وبحوث كثيرة نشر بعضها في حياته ونشر أتباعه البعض الآخر بعد وفاته.

ما هي أبرز وأهم مؤلفات دوركهايم؟

•المؤلفات التي نشرها في حياته يمكن ترتيب ظهورها كما يلي:

أهم أعمال دوركايم

- تقسيم العمل الاجتماعي (1893م)
- قواعد المنهج الاجتماعي (1895م)
- الانتحار دراسة اجتماعية (1896م)
- الأشكال الأولى للحياة الدينية (1912م)

أصدر سنة 1896 مجلته الاجتماعية المعروفة باسم السنة الاجتماعية أو التقويم الاجتماعي؛ كانت مصدراً للفكر السوسيولوجي لسنوات عديدة في فرنسا واستمر يصدرها حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة (1914م). حيث استأنف أتباعه نشرها منذ عام 1925 م.

نشر دوركايم في هذه المجلة بحوثا اجتماعية عديدة تناولت موضوعات مهمة أبرزها (طبقات المحارم في الزواج - الظواهر الدينية – التوعية – التصنيف - نظم الزواج في مجتمعات أسترالية – الطوطمية)

مؤلفات نشرت بعد وفاة دوركايم

أما مؤلفاته التي نشرها أتباعه فهي:

- التربية وعلم الاجتماع (1922م)
- علم الاجتماع والفلسفة (1923م)
- التربية الأخلاقية (1925م)
- كتاب الاشتراكية (1928م)

<u>الظاهرة الاجتماعية</u>

يبدأ " إميل دور كايم " بضرب أمثلة لهذه الظواهر فيقول: نجد في كل مجتمع إنساني مهما كانت درجة رقيه أن الأفراد يسيرون في مختلف شئون حياتهم وفى مختلف فروعها على أساليب خاصة وقواعد وأوضاع لا يحيدون عنها.

ففي حياتهم الدينية نجدهم يتفقون على أمور عامة فيما يتعلق بطقوسهم وشعائرهم المقدسة وواجباتهم تجاه هذه العبادات.

hadeel alnafea

وفى حياتهم الأسرية نجدهم يسيرون فيما يتعلق بنظم الزواج والطلاق والقرابة والمصاهرة والعلاقات الجنسية وتقرير الحقوق والواجبات لكل فرد، نجدهم يسيرون على أساليب وقوالب لا يحيدون عنها ومن يخرج عما نرسمه من حدود يقابل في هذا الصدد بقوة وعنف.

وفيما يتعلق بشئونهم الاقتصادية نجدهم يسيرون على وتيرة واحدة فيما يتعلق بطرق التبادل والإنتاج وتقدير قيم الأشياء، وفي صياغة العقود والوفاء بما تنطوي عليه من التزامات.

نجدهم في هذه الأمور وما إليها مقيدين بأوضاع معينة ولا يخرجون عن حدودها.

وفيما يتعلق بحياتهم السياسية نراهم يخضعون لنظم مستقرة وقواعد مقننة تتعلق بقيام الحكومات وتعاقبها وتقسيم مظاهر السلطة وعلاقة الفرد بالحكومة.

وعلى هذا النحو فيما يتعلق بحياتهم الخلقية والقضائية واللغوية والتربوية والفنية ، كل هذه الأساليب والقواعد والأوضاع والتي يسير عليها الأفراد في مختلف شئونهم تسمى بالظواهر الاجتماعية.

وبعيداً عن هذه النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأسرية والدينية والأخلاقية بوصفها نظماً تامة التكوين، نلاحظ وجود بعض التيارات والاتجاهات التي تنشأ في جو المجتمع والتي تعتبر أيضاً اجتماعية ، ولا يستطيع الأفراد الخروج عما تفرضه عليهم من حدود والتزامات.

هذه الاتجاهات تنشأ عادة من احتكاك أفكار الأفراد في المجتمع ومن اتصال وجدانهم وتفاعل مشاعرهم واتحاد رغباتهم وميولهم ، وما يحيط بهم من ظروف طبيعية واجتماعية.

وينطبق هذا الوصف على الظواهر المادية في المجتمع المتعلقة بالتركيب المورفولوجي.

وهذه الأمور تتناول قيام المدن ونشأتها واختيار مواقعه وتخطيط القرى وتوزيع أفرادها على المساحة ، والتخلخل والكثافة السكانية وانتقال بعض عناصر المجتمع من مكان إلى آخر كالهجرة من القرى إلى المدن وبالعكس.

فالملاحظ أن كل هذه الظواهر المورفولوجية تجري وفقاً لقوانين وأساليب خاصة وهذه الأساليب والأوضاع تسمى كذلك بالظواهر والأوضاع الاجتماعية المورفولوجية.

بمعنى أن كل مجتمع من المجتمعات مهما كانت درجة تحضره، يسير وفقاً لأساليب خاصة وأوضاع معينة، مثل اختيار مواقع المدن وتخطيطها ونشأتها واتساعها وتطورها، وتوزيع أفرادها على أحيائها السكنية والتخلخل والكثافة السكانية، وكذلك نشأة القرى والهجرة منها إلى المدن وبالعكس...

وهذه الأمور هي ظواهر اجتماعية، تخضع لقوانين معينة.

ما هي إذن الصفات الذاتية التي تميز هذه الظواهر الاجتماعية عن ظواهر العلوم الأخرى، حتى نستطيع أن نميز موضوع علم الاجتماع من غيره من الموضوعات؟

<u>صفات الظاهرة الاجتماعية</u>

لقد خصص دوركايم جانباً كبيراً من كتابه: "قواعد المنهج في علم الاجتماع" لتحديد ماهية الظاهرة الاجتماعية.

وعمل على تفنيد كل ما أثير من شكوك حول استقلالية علم الاجتماع .فتحدث في:

- الفصل الأول: عن طبيعة الظواهر الاجتماعية

hadeel alnafea

- تعريف الظاهرة الاجتماعية
- خصائص الظاهرة الاجتماعية
- كيفية التعامل معها
- الوجود الخارجي للظاهرة

وجد دوركايم أن ثمة ظواهر معينة في الحياة الاجتماعية يتعذر تفسيرها في ضوء التحليلات النفسية أو الطبيعية.

فهناك أنماطاً من السلوك، وضروباً من التفكير والشعور، تتميز بأنها خارجة عن الفرد، كما تتمتع بقوة قهر.

والأمثلة عن هذه الظواهر عديدة :قواعد الأخلاق، الأسرة، الممارسات الدينية، السلوك المهني، اللغة، النقود،.....

تمتاز الظواهر الاجتماعية بصفات ذاتية أهمها :-

1. الظواهر الاجتماعية ظواهر إنسانية تنشأ بنشأة الاجتماع وبهذه الصفة تتميز هذه الظواهر عن الظواهر التي تدرسها علوم الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء، والبيولوجيا العامة والجيولوجيا والجغرافيا.

ومادام الاجتماع الإنساني يعتبر مملكة صغيرة داخل مملكة الكون كله (داخل الطبيعة)، وقد ثبت أن ظواهر هذه المملكة الأخيرة (الطبيعة) خاضعة لقوانين ثابتة ضرورية وصلت إليها طائفة غير قليلة من العلوم الوضعية ، فليس ما يمنع من تطبيق هذا المبدأ على مملكة الإنسان بمعنى أن ما يكون صحيحاً بالنسبة للكل يكون صحيحاً بالنسبة للجزء.

وبذلك تكون الظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين شأن ظواهر العلوم الأخرى والبحث عن هذه القوانين ودراستها يجب أن يكون موضوعاً لعلم مستقل هو علم الاجتماع.

2. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها عبارة عن أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنساني .
وتلك الخاصية تحدد الصفة الإنسانية كإطار للظاهرة الاجتماعية.
فيسير عليها الأفراد في مختلف شؤونهم المتعلقة بالأسرة والمعاملات الاقتصادية والأوضاع السياسية والطقوس الدينية والمعايير الأخلاقية.

3. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها ظواهر موضوعية أي شيئية ولها صفة الخارجية، أي لها وجوداً خاصاً خارج شعور الأفراد، وهذه أول صفة يذكرها كتابه قواعد المنهج ، ويقصد دور كايم بهذه الصفة أن الظاهرة الاجتماعية موجودة في المجتمع خارج شعور الفرد كحقيقة موضوعية (شيئية) دائمة، وتنتقل من جيل إلى جيل، وهي ثابتة لا تتغير بتغيير الأفراد إلا في حدود ضيقة وهى سابقة في الوجود على الوجود الفردي بمعنى أن الأفراد منذ ولادتهم يخضعون لنظم وظواهر اجتماعية سابقة على وجودهم في هذه الحياة.

القول أن للظواهر الاجتماعية وجوداً خارج شعور الأفراد ، يعني أنها ليست من صنعه، بل هو يتلقاها من المجتمع الذي نشأ فيه.

وهي ليست وليدة التفكير الذاتي، لأنها هي التي تكون هذا التفكير لدى مختلف الأفراد بطابع متجانس إلى حد كبير أو قليل، حسب درجة التقدم التي وصل إليها المجتمع.

فالغاية الأساسية لعلم الاجتماع هي تحقيق الموضوعية .وما دامت الظواهر الاجتماعية موضوعية على هذا النحو فإنها تصبح مثل الأشياء.

وباختصار: يقصد دوركهايم بالصفة الخارجيّة وجود هذه الظواهر في اللُغة والدين والاقتصاد والقانون ... ودوامها من جيل إلى جيل، وعدم تأثرها بتغيير الأفراد ؛ وذلك لكونها مُستمرّة وبشكل معيّن ، ويولد الأفراد ليجدوها سابقة على مولدهم ، ويعرفونها ويأخذون بها عن طريق التعليم والتنشئة الاجتماعية.

ويستدل دوركهايم على خارجية الظواهر بشواهد وأمور كثيرة أهمها:

أ- أن الظاهرة الاجتماعية منفصلة عن تجسداتها الفردية، أي عن صور انعكاسها في شعور الأفراد وفي أعمالهم. وليس بالضرورة أن تتحقق الظاهرة الاجتماعية بصورتها الكاملة في التطبيقات الجزئية (الحالات الفردية)، والدليل على ذلك أنه من الممكن وجود ظواهر دون أن يطبقها الأفراد بالفعل.

ب- أنّ معظم الظواهر الاجتماعية مكتوبة وأغلبها مُدوّن في كُتب ودساتير وقوانين موضوعة تحدد وتثبت وجودها الواقعي، وهذا ما نجده مثلاً في النظم التشريعية والدينية والأسرية والظواهر اللغوية والأمثال الشعبية، وأصول العقيدة والدين والسياسة واللغة. ذلك أن للدين كتباً منزلة وللسياسة دستوراً، وللغة قواعد وآداباً....

ج- بعض هذه الظواهر الاجتماعية يمثل إرثاً إنسانياً ورثه الأفراد عن الأجيال السابقة ولتزمون حدوده ومراسيمه ويحققونه في حياتهم العملية ويسيرون عليه في شئونهم الاجتماعية.
وهذا يتحقّق عمليّا في العادات والأعراف والتقاليد التي تظهر بشكل واضح في مناسبات معينة مثل الأعياد والمواسم.

د- تبدو الظواهر الاجتماعية في صورة اتجاهات وتيارات يمكن تحديدها كمياً وكيفياً .وهي تشكل موجات فعليّة تظهر في المجتمع مثل الإقبال على الانتحار أو الطلاق في بعض الظروف الاقتصادية؛ وازدياد ظواهر الإجرام والتشرد والتسوق، أو الإكثار من النسل ... ، وهي موجات يمكن تحديدها تحديداً إحصائيا.

4. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها تلقائية ليست من صنع فرد أو أفراد، وإنما هي من صنع المجتمع ومن خلقه وتظهر على مسرحه بصورة تلقائية ومن وحي" العقل الجمعي". فالنظم والأوضاع قد نشأت منذ نشأة الحياة الاجتماعية بصفة طبيعية .وعلى هذا فالظواهر الاجتماعية تنطوي على صفات ذاتية من جنس خاص جداً، وتنحصر هذه الظواهر في ضروب السلوك والتفكير والشعور وهي توجد خارج شعور الفرد وقد زودت بقوة قهر تمكنها من فرض نفسها عليه.

5. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها ظواهر عامة وخاصة العمومية من الخواص التي أكد عليها دوركايم في كتابه قواعد المنهج ويقصد دور كايم بالعمومية الانتشار في داخل المجتمع.
وهي بذلك تشترك مع ظواهر الطبيعتين الحيوية والنفسية.
الظاهرة لا تكون عامة إلا إذا كانت اجتماعية، أي تشكل حالة من حالات الجماعة، وتتحقق لدى الأفراد لأنها تفرض عليهم فرضاً.

وتتخذ العمومية ثلاثة مظاهر وهي :-

- أن يكون انتشارها في نماذج اجتماعية مختلفة.
- أن يكون انتشارها في طائفة من المجتمعات التي تتشابه في ظروفها الطبيعية والمورفولوجية والاجتماعية (أي مجتمعات من نوع واحد).
- أن تنتشر الظواهر الاجتماعية في محيط مجتمع معين في جميع هيئاته وطبقاته وريفه ومدنه.

hadeel amira

6. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها مزودة بصفة الجبر والإلزام ، أي بقوة قاهرة تفرض نفسها فرضاً على الأفراد ولا يسع هؤلاء أن يخالفوها ، فإذا حاول فرد أن يجرى في سلوكه وأعماله على أساليب وأوضاع تخالف ما رسمه المجتمع في مختلف شئونه السياسية والقضائية والأسرية شعر الفرد بخطورة اتجاهاته.

ويعتبر دور كايم صفة القهر والإلزام أهم الصفات لأنها هي التي تؤكد على موضوعية الظواهر الاجتماعية ، وهي بهذه الصفة تشبه ظواهر العلوم الأخرى ولذلك تصبح هذه الصفة صفة علمية عامة تشترك فيها على قدم المساواة مثل الظواهر الكونية والحيوية والنفسية والاجتماعية.

تعريف الظاهرة الاجتماعية

وبعد تحديد هذه الصفات ينتهي دور كايم إلى تعريف الظاهرة الاجتماعية بأنها عبارة عن السلوك العام واتجاهات وأساليب وأوضاع يصب فيها الإنسان تفكيره وأعماله ، وليست هذه الظاهرة من صنع فرد أو بضعة أفراد ولكنها من صنع المجتمع وهى عامة ولها كيان خاص مستقل عن الصور التي تتشكل بها في الحالات الفردية ومزودة بقوة ملزمة مجبرة.

<u>ثانياً: تبويب الدراسات الاجتماعية وتحديد فروعها</u>

عرض دوركايم لتبويب علم الاجتماع في بحث شهير له عنوانه: «علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية»

وقد نشر هذا البحث مع بحوث أخرى في مناهج بعض العلوم كتبها أعلام المفكرين، في كتاب عنوانه: «المنهج في العلوم»

أن هذا الموضوع له أهمية كبيرة لارتباطه بتحديد ميدان الدراسات الاجتماعية ، فمن الممكن أن نحدد الدعائم الأساسية التي يقوم عليها مثل هذا التبويب.

ولعل أول مسألة تصادفنا هي دراسة المجتمع البشري من الناحية الخارجية.

لأن المجتمع بصفة أساسية يتكون من رقعة ارض تختلف مساحتها اتساعا وضيقاً ، وتختلف من حيث تضاريسها وبنيتها الجغرافية وظروفها الطبيعية وتختلف أيضا من حيث الخصوبة والجذب ، أن هذه الأمور تؤثر تأثيراً مباشرا في مختلف مظاهر النشاط الاجتماعي.

هذه الناحية الخارجية للمجتمع يجب أن تكون موضوعا أساسيا لعلم اجتماعي يدرسها ويحللها ، ويسمى دور كايم هذا العلم بـ(المورفولوجيا الاجتماعية) أو علم البنية والتركيب الاجتماعي ، ويجب إلا تقتصر دراسات هذا العلم على الناحية الوصفية فحسب ، بل ينبغي أن يشرح ويحلل ويصل إلى الأسباب العميقة الكامنة في طبيعة الحياة الاجتماعية.

فمن الأمور التي ينبغي أن يوجه لها مزيد من عنايته معرفة أسباب تكاثف السكان في جهات معينة دون الأخرى ، وموضوع الهجرة من الريف إلى المدن وبالعكس، والعوامل التي تساعد على نمو المدن أو تؤدى إلى انحلالها والمسائل المتعلقة بتخطيط المدن وقيام الوحدات المحلية والريفية.

ويضع دور كايم الاجتماع الديني على رأس فروع هذا العلم لأنه يعتقد أن الدين هو أهم الظواهر الاجتماعية واقوي دعائمها ، وأن العقائد والطقوس والعبادات وما إليها تفرض نفسها بقوة على المجتمع وتجعل من أفراده وحدة حية متماسكة.

وتعتبر الظواهر الأخلاقية مجموعة من الأحكام والعادات والتقاليد التي يخضع لها الأفراد في معاملتهم مع بعض فلا أقل من أن تكون موضوعا لشعبة اجتماعية هي علم الاجتماع الأخلاقي ، وبعد الأخلاق يذكر دور كايم الاجتماع القضائي أو القانوني ، فالناحية التشريعية والقضائية تمثل ناحية هامة من نواحي الحياة الاجتماعية.

وبعد ذلك يذكر دور كايم النظم الاقتصادية وهى النظم المتعلقة بظواهر إنتاج الثروات وتبادلها وتوزيعها واستهلاكها ، وتكون هذه الموضوعات مادة علم الاجتماع الاقتصادي

ويقول دور كايم أنه بجانب هذه الفروع الأساسية ينبغي أن يقوم علم الاجتماع اللغوي الذى يدرس الظواهر اللغوية دراسة وصفية تحليلية لأن اللغة حقيقية اجتماعية ، فهي ظاهرة اجتماعية ومظهرها من مظاهر حياة الجماعة وهى من أهم العناصر المميزة للمجتمعات.

وبجانب اللغة يقوم الفن الذى يمثل الناحية الجمالية في المجتمع ومعايير أذواق الأفراد وفنونهم من شعر ونثر وخطابة ونحت وتصوير ، فينبغي أن تكون موضوعا لعلم اجتماعي خاص هو علم الاجتماع الجمالي.

ويلخص دور كايم بعد ذلك تبويبه في تقسيمات ثلاثة هي :-

1) القسم الأول: المورفولوجيا الاجتماعية ويشمل:-
- دراسة جغرافية للبيئة وسكانها وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعي.
- دراسة السكان من حيث التخلخل والتوزيع على المساحة وما يتصل بذلك.

2) القسم الثاني: علم الوظائف الاجتماعية ويشمل:-
- الاجتماع الديني
- الاجتماع الأخلاقي.
- الاجتماع القضائي.
- الاجتماع الاقتصادي
- الاجتماع اللغوي.
- الاجتماع الجمالي.

3) القسم الثالث: علم الاجتماع العام وهو فلسفة العلم

hadeel amera